

حزب الله وصناعة المزايدة (ضدّه)

الاخبار
al-akhbar

رئيس التحرير -
المدير المسؤول:
ابراهيم الامين

نائب رئيس التحرير:
بيار ابي صعب

مدير التحرير:
إيلي شاهوب،
وفيف قانصوه

مجلس التحرير:
محمد زبيب
حسن عليف
إيلي حنا
لهك الاندي
شريك كزيم

صادرة عن شركة
اخبار بيروت

المكاتب بيروت -
فردان - شارع جونان
- سنتر كونيورد -
الطابق السادس
تلفاكس:
01759500
01759597
ص.ب 5963/113

الإعلانات
الوكيل الصحفي
ads@al-akhbar.com
01/759500

التوزيع
شركة الواصل
15-11/666314 - 01
03 / 828381

الموقع الإلكتروني
www.al-akhbar.com

صفحات التواصل

f /AlakhbarNews

t @AlakhbarNews

i /alakhbarnews-
paper

أسعد ابو خليل *

أتقن خصوم حزب الله منطق المزايدة كما أتقنها من قبلهم خصوم المقاومة الفلسطينية في لبنان وفي خارجه. ويحكم (لا) منطق المزايدة تهافت منبعه تبذل وتقلب مواقف رعاتهم عبر السنوات. والمزايدة فن في السياسة العربية، والكلمة تصعب ترجمتها إلى لغات أخرى، خصوصاً أن صياغاتها تستعير من صنع لا علاقة لها بالسياسة. الكتب والمقالات التي تحدثت عنها - أي المزايدة السياسة العربية - بلغات أخرى لاحظت كثرة الاستعمال في الخطاب السياسي العربي المعاصر. والمزايدة حكمت التاريخ المعاصر في الإسلام. كانت منطق المزايدة آنذاك في الظهور بمظهر الحاكم بما أمر الله به والحكم على معصية الآخرين. وشعار الخوارج الأول هدف إلى المزايدة على الحكم الإسلامي من معيار الحكم الإلهي. والمزايدة العربية المعاصرة صنعة لعبها البعثيون بمهارة فائقة وإن خفتت فعاليتها بعد عقود من الحكم والإفراط في الاستعمال. وليس من المبالغة القول ان إخراج عبد الناصر واضطراره إلى سحب القوات الدولية من سيناء عام 1967 كان نتيجة المزايدة التي حاصرتها: من اليمين من قبل النظام الأردني - المرتبط عضويًا دوماً بمصالح العدو الإسرائيلي - ومن اليسار من قبل حزب البعث في سوريا. كان على عبد الناصر، الذي لا يختلف عن القادة الفاعلين في قدرته على التحكم بعواطفه ودراسة قراره بعناية ودراسة غير خاضعة لمزاجه أو لمزاج المزايد، أن يقاوم رغبة التجاوب مع الضغوط التي فرضها عليه خصومه. ما علينا، تصعب إعادة التاريخ القهقري من أجل منع الهزيمة الشنيعة، وإن أغرانا الخيال بذلك.

إن فن المزايدة ليس وليد العفوية في المواقف. المزايدة تكون أحياناً كثيرة تلبية لمشغل خارجي يريد تنفيذ ماريه من خلال أدوات محلية. وعندما سخر النظام الأردني عشية عدوان عام 1967 من نية عبد الناصر في خوض المعارك ضد العدو وفي تحرير الأرض، لم يفعل ذلك لأن رغبة التحرير كانت تحركه وتؤرقه. النظام الذي تواطأ مع العدو في كل مراحل الصراع العربي - الإسرائيلي سخر من نية ورغبة النظام الناصري في تحرير الأرض، ربما بهدف تحقيق خدمة (غير) مجانية للعدو، فيما كان النظام السوري يدفع بالنظام المصري إلى مواجهة لم يكن مستعداً لها (هذا لا يعفي النظام الناصري من المسؤولية، طبعاً).

لكن رياضة المزايدة باتت هي السائدة في إعلام آل سعود وآل ثاني (والتواضع في آل الحريري) في التعاطي مع حزب الله. لا يخوض خصوم حزب الله مناظرة أو نقاشاً معه بل هم يتصيدون كلمات امينه العام فقط من أجل المزايدة عليه والسخرية منه وإخراج الحزب في انظار الرأي العام. والأوامر العليا هي الطاغية. لو اعترف حزب الله بالكيان اللبناني، ياتون بتسجيلات قديمة لحسن نصرالله فيقولوا: لكن ماذا عن مواقف قديمة للحزب؟ واللعبة التي يمارسها كتاب الحريري بانتظام تنطبق أكثر على الأمير والشيخ الراعي. ماذا لو أتينا بتصريحات للسنيورة وجنبلاط والملك عبدالله والحريري (الأب والابن) في مديح النظام السوري وفي مديح المقاومة وسلاحها (بعد 2000)؟ ماذا لو أتينا بتصريحات يقول فيها كل هؤلاء بضرورة تحرير مزارع شيعا بكل الوسائل؟ ولو حثّ الحزب على التهدئة والسكينة، لقالوا: لكن ماذا عن 7 آبار؟ ولم جزم أنه لم يطرح يوماً المثالثة، لقالوا: لكن قرأنا مواطن يقطن في الضاحية كلاماً يُشتم منه نية المثالثة؟ وقس على ذلك.

ومزايدات خصوم حزب الله لا تعبر الحقيقة أهمية. لكن هذا هو عصرنا، العصر الذي يجلس فيها مروان حمادة في محكمة الحريري الدولية (شاهداً، على ماذا؟) كي يعترف إنه كتب مدائح لحافظ الأسد ونظامه لكن تفسيره هو أنه فعل ذلك لأنه «قومي عربي». لكن هو أيد عدوان تموز (كما قرأنا في «ويكيليكس»، وهل نشر خرائط شبكة اتصالات المقاومة من منطلق قومي عربي أيضاً؟ وغطاس حوري (شاهد آخر) يجلس في قاعة المحكمة ويعترف أنه زار رستم

غزالي لكن يعترض على وصف الزيارة بأنها كانت للتهنئة ويقول إنها كانت «للمجاملة» فقط. وسليم دياب (شاهد آخر) يشرح للمحكمة أن الحريري لم يدفع رشى بل كان يقدم مساعدات مالية (هل كان هذا الوصف يسري في أي محكمة من دول الغرب التي تدعم المحكمة؟) وتستطيع جماعة 14 آذار أن تستفيض في ادعاء البطولات الوهمية وفي اختلاق السيناريوهات المجيدة وفي تفتير أكاذيب تتناقض مع سيرهم الذاتية لأن الفريق الآخر - خصوصاً حزب الله - لا يحسن الرد، ولا يرتأيه. هي مناظرة من طرف واحد، ومن أصول المناظرة ان الغائب عنها يخسر حكماً.

وقد ردّ حزب الله على العدوان الإسرائيلي في القنيطرة، وقد ردّ وأصاب. وقد ردّ بعد أيام من جزم جماعة 14 آذار أنه لن يرد. أستاذ علوم سياسية في الجامعة الأميركية في بيروت جزم في حديث مع «واشنطن بوست» قبل أيام فقط من رد الحزب أنه «لن يرد». وفارس سعيد خلص على «تويتير (قبل الرد) إلى القول إن عدم ردّ الحزب «يؤكد ان الحزب يضع في أولوياته دعم نظام الأسد». وقد ردّ الحزب بطريقة شلت قدرة العدو على الرد وقطعت عليه طريق استغلالها. أي ان الرد كان فعلاً ومهماً ومفجعاً. والمقاومة في لبنان ترمي وتصيب، على طريقة السهل الممتنع. أذكر أنه في سنوات منظمة التحرير كانت الفصائل (اللبنانية والفلسطينية) تجهد كثيراً كي تصيب جندياً إسرائيلياً واحداً. هذه مقاومة من نوع وصنف آخر في المهارة والفعالية. وعندما يهدد حسن نصرالله العدو الإسرائيلي تكون تهديداته (وهي مصوغة بعناية ودقة) ذات مصداقية، وتصيب العدو بالرعب. هذا عنصر جديد في الصراع مع العدو. لم يكن العدو يعير تهديدات باسرها فترات أي اعتبار يُذكر.

لكن ما مشكلة المزايد على حزب الله؟ هي متنوعة.

أولاً، وضع مزارع شيعا. يسوق إعلام 14 آذار لكذبة ان الأمم المتحدة تعتبر ان مزارع شيعا هي سورية. لا، إن تيري رود لارسن (الموالي للحريري وللعدو الإسرائيلي بقوة) هو الذي قرّر انها سورية (يروي فاروق الشرع ذلك في كتابه الصادر حديثاً). يجب ان يفرض على كل جماعة 14 آذار مادة في التمهيد للعلاقات الدولية كي يعلموا ويعلمن ان الأمم المتحدة لا تقرّر الحدود بين الدول، وليس ذلك في صلاحياتها أو سلطتها على الإطلاق. سوق تري رود لارسن للكذبة وابتلعها فريق 14 آذار لأنها تصب في مصلحة العدو الإسرائيلي (ومصلحتهم هم، يا للصدقة). إن تعيين وترسيم الحدود يخضع لمعاهدات واتفاقيات بين الدول، وتحفظ الاتفاقيات في أدراج الأمم المتحدة. أي أن دور الأمم المتحدة ينحصر في التخزين فقط. سركيس نغوم طور المقولة تلك هذا الأسبوع في إطلالة وقال إن «المجتمع الدولي» قرّر أن مزارع شيعا سورية. وكيف قرّر المجتمع الدولي ذلك؟ وهل قرر المجتمع الدولي الحدود المتنازع عليها بين المملكة السعودية وعمان أيضاً؟

ثم لنفترض أنها سورية، هل هذا يعني أنه بحق للعدو الإسرائيلي ان يحتفظ بها جائزة من الجوائز؟ أم ان ذلك يعني أن لبنان يتخلى عن قطعة من أرضه، أو من أرض سورية، فقط كي ينزع عن المقاومة مشروعيتها ومقاومتها، أو تطبيقاً لتفسير ميشال سليمان لإعلان بعيداً؟ لكن العدو نفسه يفشل مخططات أعوانه في لبنان، إذ أنه يحتلّ أراض أخرى غير شيعا، لكن ميشال سليمان حرص على ضرورة «إخلائها» قبل ان يترك سدة الرئاسة.

ثانياً، هناك مقولة إن الحزب ردّ لكن بالنيابة عن النظام الإيراني. لكن كيف يعرف خصوم حزب الله نواياه ومقاصده؟ وماذا لو أن نواياه كانت إيرانية أو صفوية فيما النتائج هي عملية ناجحة ضد جنود الاحتلال؟ وهل كانت هناك مقاومة في العالم (من فييتنام إلى الجزائر إلى جنوب أفريقيا) لم تكن تعتمد على دعم خارجي؟ لكن مهما فعل الحزب ومهما أصاب العدو سيتدافعون كي يجدوا الأسباب التخفيفية للعدو، وكي يجعلوا من حزب الله هو العدو (مع إضافة كليشيهة أن «إسرائيل عدو» وإن كنا - أي هم - نحرص على مصالحتها).

ثالثاً، ماذا يفعل حزب الله في سوريا وتدخله هناك منع عنه التعاطف حتى مع شهادته الذين سقطوا على يد العدو الإسرائيلي. بصرف النظر عن الجدل في شأن التدخل من قبل الحزب في سوريا، لماذا يكون التدخل سبباً لحظر التعاطف مع شهداء له سقطوا على يد العدو؟ ألم يتدخل الحريري (الأب والابن بعده) في الشأن السوري والعراقي والفلسطيني؟ ألم يرتبط الحريري مالياً وسياسياً مع دمية الاحتلال الأمريكي، اباد علاوي؟ ألم يكن الحريري يرتبط مالياً مع قادة في المخابرات والنظام السوري لإحداث تغيير ملائم للمصالح السعودية (وكان يعول على الداعية الديمقراطي، غازي كنعان في التغيير)؟ والغريب ان فريق 14 آذار قاد حملة مؤثرة على وسائل التواصل الاجتماعي هذا الأسبوع للتعاطف مع

المزايدة تكون أحياناً تلبية لمشغل خارجي يريد تنفيذ ماريه من خلال أدوات محلية

الطيار الأردني الذي قتلته «داعش» مع أنه هو كان يتدخل (بالبطائرات الحربية وبأوامر أميركية) في الشأن السوري؟ انتشرت حملة تعاطف مع الطيار الأردني الذي كان يتدخل في سوريا ضد المجموعات نفسها التي يتدخل حزب الله ضدها. لكن لا يجوز التعاطف مع جنود ومقاتلين لا يرتبطون بنظام غير مُطبع.

رابعاً، أن الردّ على عدوان إسرائيل كان محدوداً. هنا مكمن المزايدة. لو أن الحزب فتح نيران صواريخه على العدو ولو أن العدو تدخل بوحشية ضد لبنان ولو قتل الآلاف كعادته، لصاحت كل الأصوات المزايدة مُحملة الحزب - لا العدو - المسؤولية عن الخراب والدمار. أما إذا كان ردّ الحزب



المقاومة في لبنان ترمي وتصيب، على طريقة السهل الممتنع (مروان طحطح)

محدوداً ومدروساً ومهماً - كما كان - فإن محترفي المزايدة بسخرون من حجم الردّ وكانهم يطالبون الحزب بالمزيد. وهم لا يريدون المزيد إلا من أجل تحميل الحزب المسؤولية عن جرائم إسرائيلية متأتية، لا، ليس التواطؤ مع مصلحة العدو الداعية صدفة من الصدفة.

خامساً، يعترض المزايدون على أي ردّ على عدوان إسرائيلي من قبل الحزب ويذكرون ان الشعب اللبناني لن يقف «صفاً واحداً» هذه المرة إلى جانب الحزب. صفاً واحداً؟ متى كان ذلك؟ متى وقف اللبنانيون في تاريخ مسخ الوطن صفاً واحداً في صف مقاومة العدوان؟ في كل تاريخ لبنان، كان هناك من يقف في صفّ العدوان ومن يقف في صف المقاومة. وقد وقفت كل قوى 14 آذار في صف العدوان في تموز 2006، ولاحظنا ذلك قبل صدور تسريبات «ويكيليكس» بكثير. وهناك من يذكر بجميل من استقبل هؤلاء النازحين، من ان النازحين يذكرون الكلام المهين الذي قيل لهم في مناطق خاضعة لسيطرة 14 آذار، خصوصاً في مناطق نفوذ المغرّد الديمقراطي الوهابي جنبلاط.

سادساً، هناك من يأخذ على الحزب ولاءه للنظام الإيراني. وتحالف الحزب الوثيق للنظام الإيراني ليس سراً. لكن السؤال هو: إن حزب الله موال للنظام الإيراني، كما أن كل فريق 14 آذار موال للنظام السعودي (يجب قراءة مرثية وهبة قاطيشا من بين كل مرثيات فريق 14 آذار عن عبدالله من عبد العزيز، والذي قدم عنها الزميل غسان سعود عرضاً وافياً). لكن: هل ولاء حزب الله للنظام الإيراني يفوق ولاء فريق 14 آذار للنظام السعودي؟ أو لنسأل بطريقة مختلفة: من تتصور (أو تتصورين) أن له هامش المناورة والحركة والنقاش أكثر: حسن نصرالله إزاء إيران أم سعد الحريري إزاء النظام السعودي؟ ليس هناك من يتردّد في الإيجابية الواضحة، بعيداً من الدعاية والسحالات السياسية الراجحة.

سابعاً، هناك أيضاً المزايدة الإيديولوجية عن أن الحزب منع اليسار من القيام بمقاومة ضد العدو الإسرائيلي. ينسى هؤلاء، أو يتناسى، ان محسن إبراهيم (واحد من مؤسسي الصيغة الثانية لجبهة المقاومة عام 1982 - إذ أن الصيغة الأولى أطلقها